محاضرات السداسي الثاني

المحاضرة الرابعة

الأستاذة: بركاني حياة

مقياس: أساطير أدبية

الموضوع: التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي

من بين الدراسات التي عكفت على تفسير النصوص الشعرية وفق إجراءات الاتجاه الأسطوري نجد المرشد إلى فهم أشعار العرب و صناعتها 1970 عبد الله الطيب و قصة ثور الوحش و تفسير وجودها في القصيدة الجاهلية لعبد الله الجبار المطلب "الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث "لنصرت عبد الرحمان و التشكيل الخرافي في شعرنا القديم و التفسير الأسطوري للشعر القديم لأحمد كمال زكي.

تعد المقدمة الطللية من بين الظواهر الإبداعية الكبرى في تراثنا العربي التي كانت مجالا خصبا للكثير من التفسيرات الأسطورية باعتبارها حسب نقاد الأسطورة تكتنز طقوسا و معتقدات و شعائر وثنية عبدها الشاعر الجاهلي فظهرت جلية في افتتاحياته الطللية و مصطفى عبد الشافي الشورى واحد من بين الباحثين العرب الذين درسوا المقدمة الطللية بآليات التفسير الأسطوري وقد كان التركيز على (صورة المرأة ، وصورة الحيوان).

<u>صورة المرأة الظاعنة في المقدمة الطللية:</u>

شكلت المرأة قطبا هاما في القصيدة الجاهلية إذ كانت محور اهتمام الشاعر فدبج في جمالها و مفاتنها كثيرا من القصائد فكانت من ابرز الصور التي استوقفته في شعره واقفا على ديارها التي كانت تسكنها و شبب بها وصور ضعنها و ارتحالها ودونها الحياة مستحيلة في نظر الشاعر الجاهلي.

ويذهب مصطفى الشورى إلى أن المرأة في المقدمات الطللية قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالشمس و كانت رمزا لها وهناك الكثير من الشعر الجاهلي في مواضيع كثيرة منها :

قول سويد بن أبي كاهل اليشكري:

تمنح المرآة وجها واضحا مثل قرن الشمس في الصَحوة

فالمرأة هي الشمس التي عبدها الجاهلي ، وما ان غابت حتى يسود حياته الإقفار ، فالمرأة الإنسان أحد رموز الآلهة الشمس ، مصدر الخير و الخصب و النّماء فباكي الأطلال هو باكي (المرأة و الشمس).

ومما لاشك فيه أن الشمس كانت رمز موغل في القدم أحد الأجرام السماوية التي عبدها سكان الجزيرة العربية فمملكة سبأ التي أقيمت على أرض اليمن منذ أكثر من خمس وعشرين قرنا قبل الميلاد عبد سكانها الشمس ، وسجدوا لها من دون رب العالمين ، ثم بعد فترة أصبحت هذه المملكة على التوحيد بعد أن آمنت ملكتها بلقيس مع سليمان عليه السلام ولكن مع مرور الزمان و توالي القرون كفر قومها بأنْعُم الله فدمرها تدميرا .

و تعد محاولة ربط الشعر الجاهلي بالوثنية و عبادة الكواكب ، والانصراف عما عاداها من ديانات سماوية كانت منتشرة في أِرض الجزيرة العربية قبل الإسلام غير أن الاستقراء لديانات شبه الجزيرة العربية يؤكد خلاف" ذلك فقد كان معظم العرب يدينون بدين إبراهيم عليه السلام منذ أن نشأت ذريته في مكة و انتشرت في جزيرة العرب ، فكانوا يعبدون الله و يوحدونه و يلتزمون بشعائر دينه الحنيف، حتى طال عليهم الأمد و نسوا خطأ مما ذكروا به ، ثم جاء بعد ذلك (عمرو بن لحي رئيس خزاعة)الذي غير دين الآباء و الأجداد إلى عبادة الأصنام ، ومثلت هذه العبادة :" أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية.

كما أنه بعد تتابع الديانات السماوية الجديدة من يهودية و نصرانية تضعضع بنيان الصابئة ، بل أن الطقوس و الشعائر الوثنية قد درست وخمدت جذوتها لأن التاريخ العربي القديم أكبر دليل على تاريخ تلك المعتقدات الوثنية التي انتشرت وأصبحت مظاهر شاحبة لا تسمن من جوع.

الصورة الأسطورية للمرأة:

طيف المرأة لم يكن ليفارق طيف الشاعر الجاهلي و كانت هي مركز الإشعاع في حياته وهذا التشبيه للشمس يعود إلى بيئته الصحراوية التي تكون فيها الشمس حارقة وربما يعود هذا التشبيه كذلك إلى التقليد الفني أكثر.

كذلك رحلة المرأة للشمس هي دعوة لأمل الشاعر فغياب راحلتها عن الأنظار ممثل بغياب الشمس ثم عودتها مرة ثانية متوهجة و هي دعوة للأمل الدائم .

الصورة الأسطورية للناقة:

ترمز الناقة للديمومة و الحركة و العمل و استمرارية الحياة في وسط بيئة قاحلة و جافة فالناقة في نظر الجاهلي هي المنقذ له و القادرة على تخطي الصعاب و تذليل الصعوبات و لها الفضل في انتشال روح الشاعر من الهموم والأحزان حمايته من مخاطر الصحراء وقال في ذلك طرفة بن العبد:

وإنّي لأمضي همي عند حضورها بعوجاء مرقال تروح وتغتدي

ومن المزاعم الأسطورية التي تفشت حول الناقة والتي تتمثل في مزاعم أن الابل تولع بأكل عظام الإنسان اذا مات ولا يوجد حيوان يأكل عظام الموتى من البشر فكانوا يثأرون لأنفسهم منها في حياتهم ، فأفرطوا في نحرها وعقرها حتى ينقذوا أنفسهم منها في حياتهم.

الصورة الأسطورية للثور الوحشي:

ردد الكثير من شعراء الجاهلية وصف الثور فكانت صورته التي انعكست في قوافي الشعر الجاهلي مردها التراث الديني الجاهلي الذي انطمست معالمه و انتشرت طقوسه و لم يبقى منها سوى إشارات و إيحاءات ضئيلة توحي بالمعتقدات القديمة لان الثور الوحشي في المعتقدات القديمة كان يمثل اله يرمز للقوة و الخصب و النماء و هو اله العواصف (عبده السومريون) وسموه (انليل)و عبدو البقرة الهه معه و من اتحادهما في زواج مقدس فاضت (دجلة والفرات)بالخصب على أرض سومر و كان (الآشوريون)يضعون الثيران المجنحة على أبواب قصورهم حارسة راعية لأنهم كانوا يعبدون (الإله

الثور) يلتمسون عنده الحماية و الرعاية فكثيرا من هؤلاء الشعراء الجاهليين ربطوا بين صورة (المطر و صورة الثور و مثّلوه رمزا للقوة والصلابة فالثور الجاهلي هو (الملك صانع المطر).

وتبقى هذه الرموز الأسطورية هي المحرك لعنصر الخيال تسمو به إلى حد العجائبية في الوصف و إتيان الخوارق من أجل لفت انتباه القارئ و إثارة فضول المتلقي.